

## تفسير البحر المحيط

@ 253 أن تقابل بغير ما تفعلون ، أو أراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما أنتم عليه .  
يوم محيط أي : مهلك من قوله : { وَأُحْـِيطَ بِثَمَرِهِ } وأصله من إحاطة العدو ، وهو  
العذاب الذي حل بهم في آخره . ووصف اليوم بالإحاطة أبلغ من وصف العذاب به ، لأن اليوم  
زمان يشتمل على الحوادث ، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه ، كما  
إذا أحاط بنعيمه . ونهوا أولاً : عن القبيح الذي كانوا يتعاطونه وهو نقص المكيال  
والميزان ، وفي التصريح بالنهي نعي على المنهى وتعبير له . وأمروا ثانياً : بإيفائهما  
مصرحاً بلفظهما ترغيباً في الإيفاء ، وبعثا عليه . وجيء بالقسط ليكون الإيفاء على جهة  
العدل والتسوية وهو الواجب ، لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه . ونهوا ثالثاً :  
عن نقص الناس أشياءهم ، وهو عام في الناس ، وفيما بأيديهم من الأشياء كانت مما تكال  
وتوزن أو غير ذلك . ونهوا رابعاً : عن الفساد في الأرض وهو أعم من أن يكون نقصاً أو  
غيره ، فبدأهم أولاً بالمعصية الشنيعة التي كانوا عليها بعد الأمر بعبادة الله ، ثم ارتقى  
إلى عام ، ثم إلى أعم منه وذلك مبالغة في النصح لهم ولطف في استدراجهم إلى طاعة الله .  
وتفسير معاني هذه الجمل سبق في الأعراف . بقية الله قال ابن عباس : ما أبقى الله لكم من  
الحلال بعد الإيفاء خير من البخس ، وعنه رزق الله . وقال مجاهد والزجاج : طاعة الله . وقال  
قتادة : حظكم من الله . وقال ابن زيد : رحمة الله . وقال قتادة : ذخيرة الله . وقال الربيع :  
وصية الله . وقال مقاتل : ثواب الله في الآخرة ، وذكر الفراء : مراقبة الله . وقال الحسن :  
فرائض الله . وقيل : ما أبقاه الله حلالاً لكم ولم يحرمه عليكم . قال ابن عطية : وهذا كله لا  
يعطيه لفظ الآية ، وإنما المعنى عندي إبقاء الله عليكم إن أطعتم . وقوله : إن كنتم مؤمنين  
، شرط في أن يكون البقية خيراً لهم ، وأما من الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال .  
وجواب هذا الشرط متقدم . والحفيظ المراقب الذي يحفظ أحوال من يرقب ، والمعنى : إنما  
أنا مبلغ ، والحفيظ المحاسب هو الذي يجازيكم بالأعمال انتهى . وليس جواب الشرط متقدماً  
كما ذكر ، وإنما الجواب محذوف لدلالة ما تقدم عليه على مذهب جمهور البصريين . وقال  
الزمخشري : وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان ،  
ويجوز أن يريد ما يبقى لهم عند الله من الطاعات كقوله : { وَاللَّيَالِيَاتُ الصُّبُحَاتُ }  
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا { وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن  
يضاف إليه ، وأما الحرام فلا يجوز أن يضاف إلى الله ، ولا يسمى رزقاً انتهى ، على طريق  
المعتزلة في الرزق ، وقرأ إسماعيل بن جعفر عن أهل المدينة : بقية بتخفيف الياء . قال

ابن عطية : هي لغة انتهى . وذلك أن قياس فعل اللازم أن يكون على وزن فعل نحو : سجيت المرأة فهي سجية ، فإذا شددت الياء كان على وزن فعيل للمبالغة . وقرأ الحسن : تقية بالتاء ، وهي تقواه ومراقبته الصارفة عن المعاصي . .

{ قَالَوَا يَا بَنَانَا \* شُعَيْبُ \* بِحَفِيظٍ \* قَالَوَا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ زَسْتُرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ زَسْفَعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا زَشَوْا إِلَّا زَسَكَ لِأَنَّ الْخَلِيمُ الرَّشِيدُ \* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَيَّ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمُ إِلَّا إِلَىٰ مَا { : لما أمرهم شعيب بعبادة □ عبادة أو ثانهم ، وبإيفاء المكيال والميزان ، ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزاء بقولهم : أصلاتك ، وكان كثير الصلاة ، وكان إذا صلى تغامزوا وتضحكوا أن نترك ما يعبد آباؤنا مقابل لقوله : { اءبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلهٍ غَيْرُهُ } أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء مقابل لقوله : { وَلَا تَنفُصُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ } وكون الصلاة آمرة هو على وجه المجاز ، كما كانت ناهية في قوله : { اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ } أو يقال : إنها تأمر بالجميل والمعروف أي : تدعو إليه وتبعث عليه . إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز ، وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته . والمعنى : فأمرك بتكليفنا أن نترك ، فحذف